إستدعاء الشخصيات الدينية والأحداث التأريخية لبداية الإسلام في (أشعار مظفر النواب السياسية)

مسعود إقبالي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، قسم اللغه العربية وآدابها، جامعة علوم القرآن الكريم ومعارفه، مدينة قم، إيران
eghbali@quran.ac.ir
أحمد اميدوار
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علوم القرآن الكريم ومعارفه، مدينة قم، إيران
omidvar@quran.ac.ir
مجتبى محمدي مزرعه شاهي
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علوم القرآن الكريم ومعارفه، مدينة قم، إيران
Mojtaba63mohammadi@gmail.com
محمدمهدي خواجه پور
أستاذ مساعد، جامعة علوم القرآن الكريم ومعارفه، مدينة قم، إيران
Dr.khpour@gmail.com

Summoning religious figures and historical events in the beginning of Islam In (Muzaffar al-Nawab's political poems)

Dr. Massoud Iqbali (Responsible author)
Assistant Professor of Arabic Language and Literature , University of Holy Quran Sciences and Education , Qom , Iran
Dr. Ahmad Omidvar
Assistant Professor of Arabic Language and Literature , University of Holy Quran Sciences and Education , Qom , Iran
Dr. Mojtaba Mohammadi Mazareh Shahi
Assistant Professor of Arabic Language and Literature , University of Holy Quran Sciences and Education , Qom , Iran
Dr. Mohammad mahdi khajehpour
Assistant Professor , University of Holy Quran Sciences and Education , Qom , Iran

الملخص:-

يمكن تسمية مظفر نواب بحق "شاعر فلسطيني"، لأنه كرس حياته كلها لقضية فلسطين وحريتها والنضال ضد النظام الإسرائيلي. وكأنه لا يهتم إلا بحرية فلسطين والشعب العربي. بخطاب ملحمي ومبهج، يحث المجاهدين الثوريين باستمرار على الوقوف بحزم ضد نظام الاحتلال. تظهر قصائد نواب وفكره أنه تأثر بشدة بالإمام علي a والإمام الحسين a في مجال الحرية والعدالة؛ لهذا السبب، في سبيل تحقيق أهدافه التحررية، استغل بشكل جميل الأحداث المؤثرة في التاريخ الإسلامي وأعطى عناصر ملحمية لشعره ووعيه، لدرجة أن معظم أشعاره وقصائده كانت موضوعات سياسية وثورية.

يسعى هذا المقال، بمنهج وصفي-تحليلي، مع التركيز على أشعار نواب السياسية، إلى الإجابة عن كيف تعكس الشخصيات الدينية الأحداث التاريخية في صدر الإسلام في أشعاره وكيفية معاصرة تلك الأحداث. تظهر نتائج البحث أن نواب، من خلال تسميته للشخصيات الدينية والأحداث التاريخية في الأيام الأولى للإسلام، صور واقع المجتمع العربي، وخاصة فلسطين، مستخدماً موضوعات مهمة مثل انتفاضة الإمام الحسين a ، وفتنة عمرو العيسى، والخيانة. وقد صور أتباعه قصة النبي يوسف وشخصية الإمام علي a وما إلى ذلك.

الكلمات المفتاحية: مظفر النواب، استدعاء، شخصيات دينية، الإمام الحسين a ، فلسطين، الشعر السياسي.

Abstract:-

Muzaffar Nawab can rightly be called a "Palestinian poet", because he devoted his whole life to the cause of Palestine, its freedom and the struggle against the Israeli regime. As if he only cares about the freedom of Palestine and the Arab people. With an epic and cheerful speech, he constantly urges the revolutionary mujahedeen to stand firm against the occupation regime. Nawab's poems and thought show that he was strongly influenced by Imam Ali (peace be upon him) and Imam Hussein (peace be upon him) in the field of freedom and justice; For this reason, in order to achieve his liberating goals, he beautifully exploited the influential events in Islamic history and gave epic elements to his poetry and consciousness, to the extent that most of his poems and poems were political and revolutionary themes. This article seeks, with a descriptive-analytical approach, with a focus on the poetry of Nawab Al-Siyasi, to answer how religious figures reflect historical events in early Islam in their poems and how these events are contemporary. The results of the research show that Nawab, by naming religious figures and historical events in the early days of Islam, portrayed the reality of Arab society, especially Palestine, using important topics such as the uprising of Imam Hussein (peace be upon him), the sedition of Amr Al-Issa, and treason. His followers depicted the story of Prophet Yusuf, the character of Imam Ali (peace be upon him), and so on.

Key words: Muzaffar al-Nawab , summoning , religious figures , Imam Hussein (peace be upon him) , Palestine , political poetry.

١ـ التمهيد:ـ

من الظواهر التي شاعت في شعر العربي في العقود الأخيرة لجوء شعراء إلى تراثهم الإسلامي والعربي، واستمدادهم شخصيات منه يوظفونها في شعرهم توظيفا رمزياً ويعبرون من خلالها عن همومهم المعاصرة. في الواقع إنّ ((توظيف الشخصية التراثية في شعر العربي المعاصر)) يعني استخدامها تعبيرياً لحمل بُعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر، أي أنها تصبح وسيلة التعبير و إيحاء في يد الشاعر يعبر من خلالها أو ((يعبر بها)) عن رؤياه المعاصرة (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٣)

يعتبر مظفر نواب من أشهر الشعراء في أدب المقاومة الفلسطينية، وقد عبر عن آلام شعبه في قصائده الملحمية والعاطفية، وعمل بجهد حثيث على تعزيز استقلال وحرية فلسطين وشعبها. وهكذا يقدم شعره صورة واضحة عن الانتفاضة والنضال الفلسطيني. بحيث أن دواوينه الشعرية، كمصدر ملهم، سجل العديد من الأحداث و النضالات للشعوب العربية في فترات التاريخية المختلفة. لأنه من خلال نظرة سريعة في صفحات ديوانه، يمكن ملاحظة الأحداث والشخصيات التاريخية بشكل جلي في المجتمع العربي اليوم. مستوحىا من مكتب عاشوراء، يؤكد على إعادة حقوق الشعب الفلسطيني المظلوم و يهجه على الطغاة و الحكام الظالمين دوماً. إنّه قد ازال القناع عن وجه الحكام العرب الخائنين بكلماته الصريحة الملتهبة من جهة و يصوّر ضعف الأمة العربية في النضال مع المستكبرين بغية التحرير من جهة أخرى. فإنّه لم يمدح الحكام والظالمين قط، واختار التهجير والتشرد على الذل و التملق امام الأعداء و في هذا الطريق تحمّل الكثير من الأذي والمحن:

سُبحانك كلَّ الأشياء رَضيتُ
سِوي الذلّ و أنْ يُوضعَ قلبي في قفصٍ
في بيتِ سلطانِ

(ديوان؛ ١١٢)

وفقًا لذلك، و بغية الوصول إلى تبيين الوضع الحالي بشكل أفضل وعلاقته بالأحداث التاريخية، من الضروري تحليل الأوضاع الراهنة في العصر المعاصر بدقة من خلال عوامل الماضي و عناصره. أبطال قصائد مظفر النواب هم الرموز الدينية والأئمة a والشخصيات

البارزة والمناضلون من أجل تحرير فلسطين. لذلك فهو يثني على مجاهدي الثورة وعملياتهم الاستشهادية، ويعتبر هذا العمل استمراراً لتعاليم مدرسة عاشوراء والتضحية في سبيل إيمانه ومثله الأعلى. نجد في الشعر العربي المعاصر إشارات كثيرة إلى الشخصيات الدينية، ويتناول النواب في ديوان "الأغاني الليلية"، في جو مستوحى من الأدب الديني، معاصرة الشخصيات التاريخية في بداية الإسلام.ويشكو من الجبن والمعاصى من قِبل الشعب العربي إلى ساحة الإمام علي a مظهر العدل والتقوى. يطلب مظفر نواب المساعدة من اولئك الشخصيات المقدسة والأحداث التاريخية من أجل شرح وفهم أفضل للوضع غير المواتي للعالم الإسلامي، لأنّ ((الأحداث التاريخية و الشخصيات التاريخية ليست مجرّد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإنّ لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية والقبلظ للتجدد -على امتداد التاريخ- في صيغ وأشكا أخرى، فدلالة البطولة في قائد معين، أو دلالة النصر في كسب معركة معينة تضلّ- بعد انتهاء الوجود الواقعي لذلك القائد أو تلك المعركة- باقية، وصالحة لأن تكرّر من خلال مواقف جديدة وأحداث جديدة وهي في نفس الوقت قابلة لتحمل تأويلات وتفسيرات جديدة)) (عشري زايد؛ ١٩٩٧: ١٢٠)، إذ ((إنّ التاريخ ليس وصفاً لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها، إنّه إدراك إنسان معاصر أو حديث له، فليست هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأي فترة من هذا الماضي)) (ناصف، لاتا، ص ٢٠٥- ٢٠٦.

يقدم شاعر المقاومة إجابة موضوعية وحكيمة لاحتياجات واهتمامات المجتمع الحالية من خلال بطولات ومعاصرة الشخصيات الدينية، كما يعكس الأحداث التاريخية وآثارها المذهلة في شعره. ويبذل جهوده لشرح أفضل للوضع غير المواتي في العالم العربي وفضح عدم كفاية حكام العرب و ضعفهم. الشاعر المعاصر "يعيد تكوين الشخصيات التاريخية برقة خاصة ويربط نمط الأمس بواقع اليوم من أجل الحفاظ على مفاهيم الاستقرار وتقويتها من خلال هذه البطولة والبطولة" (روشنفكر، ١٣٩٣: ٣٥)

لذلك تسعى هذه المقالة للإجابة على الأسئلة التالية بطريقة وصفية تحليلية:

- كيف تتجلى استدعاء شخصيات رجال الدين في بداية الإسلام في قصائد مظفر النواب؟
- كيف ينعكس إلهام نواب من حادثة عاشوراء في إدانته للصهاينة والمستعمرين وفقا لآرائه السياسية؟

- ما هو تأثير الوقائع في تاريخ الإسلام وشخصياته على الفكر السياسي لنواب في الدفاع عن حقوق الفلسطينيين؟
- هل نجح الشاعر في معاصرة الأحداث التاريخية؟

تعتمد طريقة البحث الحالية على التفكير الاستنتاجي، وبهذه الطريقة، من خلال دراسة الأمثلة والموضوعات المختلفة التي ذكرها الشاعر حول الأحداث التاريخية والشخصيات بداية الإسلام، أوضح اهتمامه واجتهاده في استدعاء الأحداث والتأثر بها. وبالنظر إلى كمية القضايا التي أثيرت من استدعاء الشخصيات في القصائد السياسية لشاعر المقاومة هذا، فقد درس وحلل آراءه وأهدافه.

لذلك، في هذا المقال، تطرقنا القصائد التي تضمنت آراء الشاعر السياسية في الدفاع عن الوطن الفلسطيني وإدانة المحتلين فقط. والتي يتم التعبير عنها أحيانًا في شكل قصيدة كاملة أو جمل وعبارات ترتبط بشكل خاص بمعاصرة الشخصيات وأحداث بداية الإسلام مطالبين تبيين الوضع الحالي في العالم العربي، بحيث تجعل الباحث في شعر النواب يلمس انعكاس تلك الأحداث والشخصيات الموروثة في طريقة تفكير الشاعر في قضية فلسطين ومثلها الأعلى جلياً.

٢- سوابق البحث

لطالما نظر الكتّاب والباحثون الوطنيين والأجانب في حياة شعراء المقاومة وتحليل شعرهم، فتعرضت موضوعاتهم الشعرية وآراءهم ضد للصهيونية للنقدو الدراسة. منها مقالة ((دراسة موضوعية لأشعار مظفر النواب)) في مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، سنة ٨٧ وأيضاً مقالة ((نبرات الحزن و الاغتراب في شعر مهدي أخوان ثالث و مظفر النواب)) في مجله ((العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٤، العدد ٢٠). و مقالة ((مظاهر المقاومة في شعر مظفر النواب)) لحسن دادخواه في مجله ((بحوث في اللغة العربية و آدابها ((ربيع و صيف ١٤٣٣ - العدد ٦)) و مقالة ((التناص القرآني في شعر مظفر النواب)) لمرضيه آباد في فصلية لسان مبين، العدد ٥.

وقد حللت المقالات المذكورة الحالة النفسية للشاعر بعد احتلال فلسطين وأوضاعها المضطربة، بالإضافة إلى إبداء آرائه وأفكاره.على أي حالٍ، لا بد من القول بأن المقالات

المذكورة قد تناولت أفكار نواب في مواجهته مع إسرائيل، وتثني على قادة المقاومة الفلسطينية وشهداءهم، وشرح موضوعات الاستقرار في شعره وأضف إلى ذلك قد تطرقت إلى دراسة ادب المقاومة في شعره. بالطبع،قد كتبت العديد من المقالات حول استدعاء الشخصيات التاريخية والدينية التي تدور عليها الدراسة الحالية أيضًا، حيث تم تحليل أفكار وآراء الشعراء العرب المعاصرين من خلال تحليل الرموز والأحداث الماضية. منها مقاله: ((استدعاء الشخصيات الدينية في الشعر المعاصر مؤكداً على شخصية المسيح a لآل بويه في فصلية لسان مبين،العدد٢٠. و مقاله ((استدعاء شخصيات الشعراء في شعر محمود درويش)) لعلي نظري، في فصلية دراسات الأدب المعاصر، خريف ١٣٩١، العدد الخامس عشر.

ولكن لم نعثر حتى الآن على مقال عميق ومحدد في دراسة إلهام الشاعر من الأحداث والشخصيات الدينية في بداية الإسلام وانعكاسه في الأحداث الراهنة في العالم العربي.

٣- معالجة البحث

يعتبر فن استدعاء الشخصيات الدينية والأحداث التاريخية من القضايا المهمة التي تناولها الشعراء العرب المعاصرون وانعكست في أعمالهم. مظفر نواب من الشعراء الذين استخدموا هذا الفن في قصائدهم السياسية وحاولوا التعبير عن آرائهم المعادية للصهاينة في هذا المجال، لأن الاختناق السياسي والظروف الاجتماعية المساعدة في عصره، وكذلك خضوع الحكام العرب وتجاهلهم أمام القضية الفلسطينية، دفعه أن يرسم الظلم والاختناق في العصور المتقدمه من تاريخ العرب ويصورها في الأمة العربية حالياً. فيلفت أنظار الجمهور إلى اضطهاد الفلسطينيين وتجاهل القادة العرب لمصيرهم.

يتوجه الشاعر المعاصر إلى شخصيات الماضي ليكون كلامه مؤثراً في حديثه ويحافظ على قيمته الفنية ويدعو من الشخصيات الدينية والتاريخية إلى جانب الشخصيات الأدبية لكي يساعدوه في التعبير عن صمته، لأنه "يريد أن يخدم الشعب بكل كيانه، ويعلمهم، ويقاتل ضد الاستعمار، ويكون رسول الحرية، والقلم هو السلاح الوحيد عنده" (آل بويه لنجرودي، ١٣٩٤: ٣٦).

ثمة بعض المصادر التراثية يستمدّ منها الشاعر المعاصر للإشاره إلى الأحداث التأريخية وهذه المصادر هي: ((الموروث الديني، الموروث التريخي، الموروث الصوفي، الموروث

الأدبي، الموروث الفلكوري و الموروث الأسطوري)). على أن هذه المصادر في الحقيقة ليست دائماً بهذا التمايز والانفصال، فإنّ بينها من التشابك و التداخل ما لا يمكن تجاهله، كما أنّ كثيراً من الشخصيات التاريخية و الدينية قد انتقلت إلى التراث الشعبي أو التراث الأسطوري، فأصبحت من الشخصيات الشعبية أو الأسطورية بينما هي في الوقت نفسه شخصيات تاريخية، ومن ثمّ تصادفنا شخصيات في شعرنا المعاصر استمدّ الشاعر ملامحها من أكثر من مصدر من مصادر التراث (عشري زايد؛ ١٩٩٧: ٧٤).

باعتقاد الشاعر، فإن وقوع هذه الأحداث في الأوضاع الراهنة هي مظهر الاستمرار لأحداث السياسية والدينية والتيارات التي حدثت في فترات سابقة من التاريخ الإسلامي. إلا أن تلك التيارات والشخصيات المناهضة للحرية والعدالة، في العصر الحالي، عادت إلى المشهد بقناع جديد وجسدت ذكرى القمع والمناهضة للإسلام من أسلافها. لذلك نشير في سياق هذا البحث إلى انعكاس هذه الشخصيات (الدينية - التاريخية) في القصائد السياسية لمظفر النواب ونحاول الكشف عن هدفه من هذه الاستدعاء.

٤- نبذة من حياة الشاعر

((هو مظفر بن عبدالمجيد النوّاب، ولد في بغداد عام ١٩٣٤م، ترجع أصوله إلى الجزيرة العربية، فهو من سلالة الإمام موسى الكاظم a .)) (ياسين، ٢٠٠٣م: ١٦) ((تابع مظفر دراسته في كلية الآداب بجامعة بغداد في ظروف اقتصادية صعبة، حيث تعرض والده الثري إلى هزة مالية أفقدته ثروته. بعد عام ١٩٥٨م، أي بعد انهيار النظام الملكي في العراق؛ تمّ تعيينه مفتشاً فنياً بوزارة التربية في بغداد، وفي عام ١٩٦٣م، اضطرّ لمغادرة العراق بعد اشتداد التنافس الدامي بين القوميين والشيوعيين الّذين تعرّضوا إلى الملاحقة والمراقبة الشديدة من قبل النظام الحاكم، فكان هروبه إلى إيران عن طريق البصرة، إلا أن المخابرات الإيرانية (السافاك)، ألقت القبض عليه، وهو في طريقه إلى روسيا، حيث أُخضع للتحقيق البوليسي وللتعذيب الجسدي.)) (يحيى، ٢٠٠٥م: ١٣؛ وياسين، ٢٠٠٣م: ١٦) وفي تأريخ ١٩٦٣/١٢/٢٨سلّم للسلطات العراقية، فحكم عليه بالإعدام، ثم خفّف الحكم إلى المؤبّد فسجن في "نقرة السلمان" ومن ثم في سجن "الحلة".)) (الخير، ٢٠٠١م: ١٣)

((هرب النوّاب من سجن "الحلّة" في العملية الجريئة التي قام بها عدد من السجناء

السياسيين بحفر خندق طويل يتجاوز خمسة عشر متراً من أرض السجن إلى خارجه.)) (عبود، ٢٠٠٦م: ١١) ((بعد هربه بقي إلى عام ١٩٦٨م، متخفياً وبعد صدور العفو عن الهاربين عاد إلى وظيفته مدرساً لكنه أُعيد إلى السجن بعد حملة الاعتقالات التي شملت عدداً كبيراً من الشيوعيين وبعد مدة أُخرج منه وخرج من العراق، وأخذ ينتقل في البلاد العربية إلى أن منع من الدخول إلى قسم كبير منها بالإضافة إلى دول خارج الوطن العربي.)) (المعوش، ٢٠٠٣م: ٦٨٨)

في مايو/ أيار ٢٠١١م، عاد النوّاب إلى بلده العراق بعد أربعين عاماً من الغياب قضاها في المنافي. ((ثم إنه لازال يتصارع مع أمراض مختلفة بسبب تقدم في العمر ومن أهمها مرض الباركنسون الذي يجعل المريض يعاني من الخرف الشيخوخي والنسيان. وكذلك اضطرابات عصبية تؤثر على الحركات وخاصة التكلم.)) (سمحان، ٢٠١١م: ٩٠)

((شعر مظفر النوّاب يمثل كل شرائح المجتمع باختلاف بيئاته وجغرافيته، هو صوت الوطن الثوري ينتقل مع البرق من شرق الوطن إلى غربه، يعشعش في قلوب الناس فلم تستطع السلطات وقف زحفه على الرغم من كل وسائل القمع التي مارستها في قمع قلوب الناس البسطاء من التواصل، ومظفر شاعر فصيح، أبدع في قصائده الفصحى، وأبدع أيضاً في لهجته المحكية، حتى جعلنا نعجز في تصنيفه بين الفصيح والمحكي، في الغزل كما في السياسة والوطنية والالتزام بالإنسان تساوى إبداعه، وتسامت كلماته، وتبلورت صوره الشعرية.)) (عبدالقادر، ٢٠١١م: ٥٧)

يصف الدكتور على جعفر العلاق أدب مظفر بأنه أدب فريد، لكنه يعتقد أن مظفر يجب أن يطلب الشرف الحقيقي في أرض أخرى غير العراق (العلاق، ١٩٨٥م: ٢٨). وكما يفهم من قصائد مظفر النواب،أنّه لم يُسمح له بنشر قصائده في وطنه العراق. وبسبب انتقاداته الشديدة لقادة الدول العربية، لم يتمكن من نشر ديوانه في الدول العربية. لذلك عليه أن ينشر ديوانه في بلد غير عربي وفي لندن.

٥- تبيين استدعاء الشخصيات

تم استخدام مصطلح استدعاء الشخصيات في الأدب العربي في عناوين من مثل ((توظيف التراث، استدعاء التراث، استلهام التراث، استدعاء الشخصيات التراثية،

توظيف الشخصيات التراثية)). يستخدم الشاعر فيها موضوعًا محددًا كرمز لشخصية دينية أو تاريخية، ليقيم من خلاله علاقة ملموسة ومفهومة بين الواقع الحالي للمجتمع وتاريخه الماضي، ويتنبه مخاطبيه إلى الفهم الشامل بالموضوع الذي يهتم به.

هناك علامات فارقه تميز بين نوعين مختلفين من أنواع قصائد القناع أو الاستدعاء. ففي استدعاء الشخصيات التراثية، يمثَل استدعاء الشخصيات التاريخية أو الأسطورية استدعاءاً موازياً لشخصية الشاعر، يكون فيه الشاعر في موقع و الشخصية التراثية في موقع آخر.تفصلهما مساحات واضحة. ويسطلق على هذع النوع من القصائد ((قصائد استدعاء الشخصيات التراثية))، ويكون فيها دافع الاستداعاء للمماثلة أو للمخاطبة أو للاستشهاد (ياسين السليماني؛ ٢٠٠٧: ٢٩). في الواقع، فإن الاستدعاء الأدبي للشخصيات يجعل النص أكثر قيمة؛ لأن الشاعر المعاصر يستخدم توظيف الشخصية التراثية استخداماً تعبيرياً لحمل بُعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر، أي أنها تصبح وسيلة التعبير في يد الشاعر يعبر من خلالها -((أو يعبر بها))- عن رؤياه المعاصر (عشري زايد؛ ١٩٩٧: ١٥)

١-٥- الفترة الأولى في صدر الإسلام هي ذكري لخيانة أعداء الدين وانقسامهم.

اكتسب مظفر نواب ثقافته الدينية من حفظ القرآن الكريم والإنجيل ونهج البلاغة وغيرها من الكتب الدينية وكتب التاريخ الإسلامي.

أضف إلى ذلك، كان مهتمًا جدًا بالكتب الأدبية في العصور الماضية وسير الشعراء العرب المبرزين، واستفاد بشكل كبير من أسلوبهم الشعري في موضوعاته الشعرية.

لذلك،اتبع أسلوب المتنبى ومقاطع أبو العلاء المعرّي في تهكم وانتقاد الديكتاتوريين وأعداء الأمة الفلسطينية، كما استفاد من أشعار امرؤالقيس وشعراء صعاليك وأبو نواس وغيرهم مما يدل على تأثره بهم (يحيي، ٢٠٠٥م: ٤٧).

ويشبه نواب من يبتدعون اليوم الأعذار لعدم محاربة العدو ويبتعدون عن النضال من أجل تحرير الأمة الفلسطينية بالكوفيين الضعفاء الذين ينقضون العهد في زمن الإمام علي؛ هم الّذين استخدموا حرارة الصيف وبرد الشتاء ذريعة للهروب من القتال وعدم مرافقة الإمام a (اميري، ١٣٨٧ه.ش: ٩٤)، بحيث قال الإمام علي a في ذمّهم: ((((فإذا أمرتُكم بالسيرِ

إليهم في أيّام الصيف قلتُم هذه حمّارةُ القيظِ أمهِلنا يُسبّخُ عنّا الحرُّ وإذا أمرتُكم بالسيرِ إليهم في الشّتاء قلتُم هذه صبّارةُ القرّ أمهِلنا ينسلخُ عنّا البردَ، كلّ هذا فراراً من الحرّ والقرّ، فأنتُم والله مِن السيفِ أفرّ، يا أشباهَ الرّجال ولا رجالٍ)) (نهج‌البلاغه، خ ٢٧).

ويعتقد أن مسيرة التاريخ قد تكررت في هذه الفترة والدول المرتزقة وقياداتها، معتمدين على الأجانب وأعداء الأمة الإسلامية، يقدمون أدلّة كاذبة للمواجهة المباشرة مع الأعداء وإعلان كراهيتهم وبراءة منهم تحت ذريعة التفاوض والتسوية. ويحذر من أن المنافقين والخونة قد تسللوا إلى صفوف الثوار والدول العربية وليس لديهم أفكار ودوافع سوى عزل الثورة وإلحاق الهزيمة بها؛ مثل الأعداء الذين اعرضوا عن القتال في عهد الإمام علي a ، فقد رمحوا المصاحف وأخمدوا نار الحرب باللجوء إلى حيل عمرو العاص (اليعقوبي ج٢، ١٣٨٢: ٩٠) مع أنّ استمرار المعركة آنذاك، أدت بالتأكيد إلى انتصار جبهة الحق (الدينوري، ١٩٦٠: ٢٣٤).

يعتقد النواب أنه حتى اليوم، لم يتحيز الأعداء الداخليون للعرب عن أي نوع من الحيل لإيقاف الانتفاضة و المناهضة للسلطوية والصهيونية (اسلامي، ١٣٨٨: ٣٦٩)، وهم يحاولون منع الدول العربية من مواجهة ذلك النظام بكل حيل:

مازِلنا نتَوضّأُ بالذلِّ و نسمحُ بالخرقة حدّ السيفِ

مازلنا نتحجّجُ بالبردِ و حرّ الصيفِ

مازالَت عورةُ عمربن العاص مُعاصرةً

وتَقبّحُ وجه التاريخِ

مازالَ كتابُ اللّه يُعلّقُ بالرّمح العربيّة

(الديوان: ٣٤٣)

نعم، فعل عمرو العاص المخزي (ابن المزاحم ١٩٩١: ٥٧٩-٥٧٨) لا يزال مطبوعًا على جبين التاريخ. وكل من أبي سفيان الماكر في المجتمع العربي اليوم، يحاول باستمرار كسر وحدة الدول العربية وتدمير قوتها باسم التحيزات القبلية. هم جماعة يحاولون أن يستروا على الصورة المشعة للحقيقة بشتى الطرق، بحيث أن تحركاتهم الخادعة تذكرنا بقصة العمل المشوه لتلك الجماعة المنحرفة عند تجاهلهم لفضل الإمام علي a وإبعاده عن الخلافة.

فيعتقد النواب، بأن الأوضاع الراهنة للدول العربية خطير للغاية لدرجة حتى لو ظهر

الإمام علي a في هذه الفترة وكان يعتزم إصلاح مسار الثورة، فإن العديد من المطالبين بالثورة وقادة النضال ضد النظام الصهيوني، ربما يتهمونه بالشيوعية والإلحاد بوقاحة ويواجهونه:

مازالَ أبوسفيان بلحيتِه الصفراء
يؤلبُ باسْمِ اللاتِ
مازالَت شوري التجّار، ترى عثمانَ خليفتَها
وتراك زعيمَ السوقية!
لَو جئتَ اليومَ
لَحاربَك الدّاعونُ إليك
وسمّوك شيوعيةً...

(الديوان، ٣٢٧)

قارن نواب في ذلك الوقت الحرج الأوضاع غير المواتية للمجتمعات العربية بحالة الأيام في صدر الإسلام وزمن الإمام علي a بغية التنوير لأفكار الناس وتصوير الكارثة حالياً. وهو يعتقد أن قبح وقذارة ذلك الوقت لا يزال يتجلى في العصر الحاضر وإن كان بطريقة مختلفة.

باعتقاد الشاعر أنّ أمثال أبي سفيان يشعلون حروبًا أهلية وقبلية ويقيمون انقسامات بين الأحزاب والمذاهب الاسلامية، حتى يحكم الحكام غير الصالحين وغير المستحقين على الجوامع الاسلامية معتمدين على النظام الرأسمالي. ويعتقد النواب، بأن العديد من الذين يدّعون اليوم أنهم يتبعون تعاليم الإمام علي a ، قد غيّر سلوكهم بسبب اتباعهم لآراء المنحرفة وتقليل معتقداتهم الدينية، بحيث عندما يواجهون صدق دعوي الإمام a ، يكفّرونه و يسمونه الشيوعيه. وهذه هي المأساة التي حلت اليوم بمعظم قادة العالم العربي وحتى شعوب هذه البلاد.

يرى شاعر فلسطين المجاهد اليوم بوضوح أن تراث العالم الإسلامي، أي القدس المقدسة وأرض فلسطين، قد سقط في أيدي الأجانب بسبب ضعف وعدم كفاية زعماء وحكام الدول العربية، واليوم يُعرفون بأنهم حاكم على مصير شعبها؛ كما في بداية الإسلام، سقط حكم الحكم الإسلامي في أيدي غير الأكفاء من بني أمية، وهم من أقارب الخليفة الثالث، فانتهكوا حقوق أهل البيت النبي i واغتصبوا الخلافة واضطهدوهم بشدة

وارتكبوا أبشع الأعمال. والآن تجلت نفس الخلافات والتحيزات في الأيام الأولى للإسلام في هذه الفترة وفي صفقة فلسطين والقدس المقدسة. والمستعمرون، مدعومين بخيانة زعماء العالم العربي وضعفهم، يطالبون بالسيادة على أرض فلسطين.

ويقول النواب في وصفه لهذا الوضع الفوضوي والإشارة إلى مجلس الأمر بتعيين الخليفة في عهد الإمام علي a واغتصاب الخلافة:

يقولون شوري أيا شَوهةً بَوهةً

أيّ شوري

قد قسّم الأمرُ بينَ أقارب عثمان ليلاً

ولم يتركوا للجياع ذُبابةً

و كيفَ تُقامُ على كلّ ذاك النظامِ فلسطينُكم

(الديوان: ٤٣١)

٢-٥- استمرار فتن أعداء الإسلام في الأوضاع الراهنة في العالم العربي

شهد الشعر الفلسطيني مجموعة متنوعة من الاتجاهات على مرّ العقود. تحدث بعض الشعراء عن بطولة خيالية وشجاعة، وسخر البعض زعماء العرب و حكامهم و يعتبرونهم الأسباب الرئيسية لانهيار أرض أجدادهم ودعت مجموعة أخرى الناس إلى الاستيقاظ لإنقاذ فلسطين من احتلال الأعداء كي يزودهم من هذا البؤوس الشديد و من خيانه المرتزقين (بيدج؛ پيشين، ٤٧).

في هذا الصدد، تتجلى السخرية الحادة والنقد اللاذع لحكام وقادة الدول العربية لعدم اكتراثهم بمصير فلسطين و فقد نضال جاد ضد نظام الاحتلال في العديد من قصائد مظفر نواب (كارتر، ١٣٨٦: ٢٣٦)

عندما ينظر الشاعر إلى الأحداث التاريخية وعجز الحكام العرب في الماضي والحاضر، يتذكر حادثة "جمل" بأنّه كيف حرض الصحابة القدامى لرسول الله i على الفتنة في حكم الإمام علي a حفاظا على أموالهم وسلطتهم من خلال تحفيز ((عائشة)) لهم فهددوا استقرار حكم إمام المسلمين في تلك الفترة الحاسمة (المسعودي، ج ١، ١٣٨٢: ٧٣١- ٧١٤).

ويعتقد أنها مثل تلك الفتن قد تغلغلت في المجتمع العربي اليوم من قِبل المطالبين بطريق الحرية والنضال وأبعدهم عن بعضهم وهذا الانقسام أدى بهم إلى البؤس والشقاوة.

قد انزعج النواب من صمت الدول العربية أمام قمع وعدوان النظام الصهيوني وشكك في أصالة الأمة العربية وذلك لأن النفاق قد انتشر اليوم في المجتمع وبين الشعوب العربية كما كان في العصور الماضية، فيتجاهلون أمام حقائق العالم الإسلامي والعربي مذلّين مدحورين. وينتقدهم على هذه الإهمال المهين والمذِل بهذه الأشعار اللاذعة:

هل عرب أنتُم...؟
وأراكم تمتَهنونَ الليلَ
على أرصفة الطّرقات الموبوءة أيّام الشدّة
قتلَتنا الرّدة
قتلَتنا أنّ الواحدَ منّا يحملُ في الدّاخل ضدّه
مِن أينَ سنَدري أنّ صحابيّاً
سيقود الفتنةَ في الليل بإحدي زوجات محمّد i
واللّه أنا في شك من بغداد إلى جدّه
هل عرب أنتُم
قتلَتنا الرّدة يا مولاي، كما قتلَتك بجرح في الغرّة

(الديوان، ص٤٥٧)

هذه السخرية والانزجار من المجتمع العربي يذكرنا بهجاء المتنبي السخيف لأهل زمانه، حيث يتهمهم بالجهل وعدم الكفاءة ولا سيما خضوعهم أمام الإيرانيين. فيقول:

إنّما النّاسُ بالملوك وما ... تفلحُ عربٌ ملوكها عجم
أغايةُ الدّين أن تحفّوا شواربكم ... يا أمّةً ضحكت من جهلِها الأمَمُ

(البرقوقي: ٢٠٠٥م، ١٧٨)

كان أبو العلاء المعري قد ذمّ شعبه ومجتمعه كما فعل المتنبي، لأنه في ذلك الفترة، كان الحكام المستبدين قد استولوا على مصير الشعب، وأدت سياساتهم الخاطئة والقمعية إلى تدمير حياة الناس وانهيارها؛ وكان يعتقد أن العيش في مثل هذه البيئة وفي ظل هؤلاء الحكام

غير الأكفاء لا قيمة له، لذلك يعبر عن اشمئزازه من تلك الظروف المهينة على النحو التالي:

مــلَّ المقــامُ فَكــم أُعاشــرُ أمّــةً أمــرَت بِغــيرِ صَــلاحِها أُمراؤُهــا

ظلمــوا الرّعيّــةَ واســتَجازوا كيــدَها وعــدوا مَصــالحها و هُــم أجراؤُهــا

(ابراهيمي: ١٣٨١هـ.ش، ٢٥٦)

هؤلاء الشعراء ينتقدون ويحتجون الشعب العربي بقصائدهم التي تشير إلى الظروف غير المواتية للحكومة والمجتمع في زمانهم، وينفون الأصالة العربية للعرب كافة، ويدعوهم إلى تحمل المسؤولية تجاه مصيرهم. على الرغم من التزام نواب الاجتماعي والتزامه السياسي تجاه شعوب ((الجزائر والشرق الأوسط وفيتنام وأيرلندا وكوبا وتشيلي وبقية العالم))، فإن قضية فلسطين لها أهمية قصوى بالنسبة له، نظراً لمشاعره العرقية القوية.

يشعر نواب بحزن عميق وغاضب من الفتن الخلافية والانقسامات الواسعة النطاق التي انتشرت بين الدول العربية، فيعتقد أن أرضه أصبحت الآن مرتعًا للأعداء والأجانب وظهرت اليوم نفس الاختلافات في حقبة ما قبل الإسلام في حرب "الداحس والغبراء" بشكل مختلف وبتقنية جديدة بين الناس. ويحذر من أنه إذا استمرت هذه الخلافات فإنها ستقودهم بالتأكيد إلى الهلاك والإذلال:

وطَني هَل أنتَ بلادُ الأعداء

وطني هَل أنتَ بقيّةُ (داحسَ والغبراء)[١]؟

اقسمتُ بتاريخِ الجوعِ ويومِ السّبغة

لَن يبقي عربيٌ واحدٌ إنْ بقيَتْ حالتُنا هذي الحالة

بين الحكوماتِ الكسبة

(الديوان، ٣٥٦)

وبحسب ما قيل، فإن النواب مثل المتنبي وأبو العلاء، يستهزئ بالسياسيين في ذلك الوقت ويفتروه عليهم من جهة، و دعا في شعره الذي غلب عليه لون الحزن والأسى، إلى تصحيح وتغيير السلوك الخاطئ للحكام وطريقة معاملتهم مع قضايا الأمة العربية و مطالباتهم من جهة أخرى. فهو يبكي على فلسطين ويتحدى السياسات الخاطئة للحكام مستوحياً من هؤلاء الشعراء العظام والمستنيرين.

٣-٥- الانعكاس لتعاليم كربلاء وشجاعة الإمام علي a في العصر الحاضر:

استفاد النواب من شخصية الإمام الحسين a رمزاً لتراث الديني المؤثرة في لوحته الفنية بغية تصوير مقارعة النظام المستبدة والحكام الظالمين من قبل الثوار في صدر الإسلام وإنعكاسه في الزمن الحالي للذود عن القضية الفلسطينية. إنّ النواب يطلب من الثوار كلهم أن يقتدوا بإمام a في الدفاع عن الحرمات و المعتقدات الدينية أمام المستكبرين. إنّه قد استطاع أن يدخل الشخصيات الدينية خاصة الإمام الحسين a في بنائه الشعري كي يفصح عن حوائجه النفسانية وأحواله المتدهورة في هذه الفترة من عمره أي الخلاص من هذه الأزمات التي حلّت بالأمة الاسلامية وخاصة بالشعب الفلسطيني من قبَل الصهاينه وحلفاءهم.

فلا يبكي الشاعر عندما يزور مرقد الإمام الحسين a ، لأنّ الإمام حسب اعتقاده يأبي بكاء الرجل. إنّ النواب يستمد من مظلومية الامام a كي يرسم لنا مظلوميةالشعب الفلسطيني فيوازي بينهما موازنه جميلة في شعر حيث يصور رأس الفلسطين يطاف به بين البلاد العربيه دون أي الشعور بأداء الوظيفة من قبل زعماء العرب و ادانته، كما طافوا رأس الحسين المبارك بين البلاد بالقساوة آنذاك وهذه المقارنة تتجسّم انحياز الدول العربيه في قضية الفسليطين و عدم مرافقهم في الذود عن حرم القدس الشريف، فها هو ينشد:

((لَستُ أبكي
فإنّك تأبي بُكاءَ الرّجلِ
ولكنّها ذَرَفَتني أمامَ الضّريحِ، عُيوني
يطافُ برأسِك فوقَ الرّماحِ...
و رأسُ فلسطينَ أيضاً يطافُ بهِ...
في بلادِ العُروبة))

(النواب، موقع صحيفة البينة الجديدة، ٢٠١١/٢/٣)

يربط النواب الأحداث الراهنة في العالم الإسلامي بالوقائع في العصر الإمام الحسين a بغية ترسيم الظروف الحالية بأجمل صور و أدقّ معان. ويصف المشاكل والمآسي التي يواجهها المسلمون وخاصة الفلسطينيون اليوم في مواجهة الصهيونية متذكراً الدنيس والمعاناة التي عانى منها أهل البيت a وأصحاب الإمام a (الذهبي، ١٤١٣: ٥/ ١٣؛ الدينوري،

١٩٦٠: ١/ ٢٥٢) في حادثة كربلاء المأساوية. فاليوم قام بتصوير كربلاء أخرى في العالم مستوحياً من واقعة عاشوراء وانتفاضة الإمام الحسين a ويعتقد أنه كما قطع أعداء الإسلام في ذلك الوقت رأس الإمام المبارك a وأعطوه يزيد في طبق (اصفهاني، ١٣٨٩: ١٤٥)، اليوم، قطع الأعداء المنافقون والداخليون رأس انتفاضة الشعب الفلسطيني باتخاذ نفس الأساليب والمعتقدات وقدّمها لقادة نظام الاحتلال. ويقول إن رئيس وزراء الكيان الصهيوني هو يزيد اللعين الذي ينوي حكم المسلمين:

هذا رأسُ الثورةِ يحملُ في طبَقٍ في قصرِ "يزيد"

وهذي البقعةُ اكثرُ مِن يومِ سباياك

فيا للّه وللحكامِ ورأس الثّورةِ

ويزيدُ على الشُّرفة و يستعرضُ أعراضَ عراياكم

و يوَزِّعهُنّ كلَحمِ الضّأن لِجيشِ الرّدة

(الديوان،٣٢٧)

يسمّي النواب قادة النظام المحتل والحكام غير الأكفاء القسي القلوب اليزيديين الذين ينوون إطفاء صرخة الثورة والانتفاضة بقتل الفلسطينيين واعتقال وتعذيب الرجال والنساء وتدنيسهم. من جانب آخر، يعتبر الدول العربية اليوم في تشبيه ذكي الجهلاء في زمن الإمام الحسين a الذين لم يتسرعوا في مساعدته بل قاتلوه في واقعة الطف وهم كانوا يعرفون حقيقة رسالته. واليوم هؤلاء العرب قد غضّوا أعينهم عن العدوان والمجازر بحق الشعب الفلسطيني الأعزل وتوقفوا عن دعمه.

ويتذكر الشاعر، بذكر تدنيس النساء الفلسطينيات وتعذيبهن واضطهادهن، تلك المآسي والمعاناة والاضطهاد التي تعرضت لها النساء والأطفال في كربلاء (محسن، ج١، ١٣٩١: ٢٩٩-٢٩٧) ويصور استمرار تلك القمع والإكراه في الفترة الحالية.

يشعر هذا الشاعر المناضل بحزن عميق لأنه يرى الدول العربية تغاضت عن العدوان السافر للإسرائيليين. ولكنه يلجأ إلى معتقداته الدينية للتخلص من هذا الوضع المؤلم. وبهذا الرأي دعا الإمام علي a بصفته رائد الثورة والنضال ضد الظلم إلى أن ينزل اليوم سيفه مرة أخرى على رأس المشركين وأعداء الإسلام، لأن اليزيديين في هذا العصر يشددون نطاق عدوانهم وجرائمهم ضد وطن الفلسطين المظلوم، وهم يعلمون حياد الحكام العرب

في قضية الانتفاضة.

لذلك، لأنه حيث لا يرى قوة الدفاع والمواجهة ضد هذه الاعتداءات من قِبل الدول العربية اليوم، دعا الإمام علي a في خطاب رمزي، للمساعدة ويطالب منه بإبادة الكفار.

مِن أينَ سَندري أنّ الرّدةَ تخلعُ ثوبَ الأفعى، تتجدّدُ؟

أنبيكَ علياَ

تلوّثَ وجهُ العُنفِ بِدون الصدقِ وَضجّ التاريخُ دَعاوى فارغةً

يا ملك الثوّارِ...

أنا أبكي بالقلبِ لأنّ الثورةَ يزني فيها

والقلبُ تموتُ أمانيَه

تعالِ بسيفِك، إنّ طواويسَ يزيدَ ثُبالغُ في التّيه

(الديوان: ٢٧٥)

وبإعتقاد الشاعر إن يختبئ العدوّ في صفوف الأمة والمجاهدين تحت ستار الصديق أو الملازم ويعمل ضد الثورة واستقرار الشعب فإن الأمر آنذاك يكون مؤلماً جداً،؛ لأن الانتفاضة اليوم هي تتجسّم لنا وقائعاً تحدث فيها انحرافات تخون القيم والمثل الإنسانية والاخلاقية لفلسطين. وهنا يتدهور تحقق الأمنيات وتطلعات الشباب والمجاهدين لتحرير القدس في قلوب الشباب شيئاً فشيئاً، وسيسيطر اليأس والخيبة من انتهاء الانتفاضة على أرواحهم.

وذكر نواب أن هؤلاء الأفراد والجماعات الذين يعرقلون في سبيل تحقق الانتفاضة ومطالبات الشعب ويزرعون بذور النفاق والخيانة هم الأعداء الحقيقيون للأمة العربية، لأنّهم بأفعالهم المخزية قد اشتروا الفلسطين ومعتقداتها بثمن بخس:

أولئك أعداؤك يا وطني

مَن باعَ فلسطينَ سوي أعدائك، أولئك يا وطني

مَن باعَ فلسطين سوي الثوار الكسبة؟

مَن باعَ فلسطينَ و أسري باللّهِ سوي قائمة الشحّاذين على عتباتِ

الحكامِ ومائدةُ الدول الكبري؟

(الديوان: ٢٨٨)

أنشد مظفر النواب قصيدة "قل هي البندقية أنت" عن البطل السوري الشهيد "خالد أكَر"، عندما هبط بمظلة على إحدى القواعد العسكرية الإسرائيلية وقتل عدداً منهم. إنّ الشاعر فر رسم لوحتة الفنية يشبه هذه العملية الاستشهادية وقتل العديد من اليهود الإسرائيليين بشجاعة الإمام علي a في إقلاع بوابة قلعة خيبر وقتل اليهود (الواقدي، ١٣٦٩: ٤٩٩) مستذكراً تلك الحادثة، يحذر الإسرائيليين من أن شجاعة الإمام علي a وبطولته قد انعكست الآن في وجه هذاالشاب الشهيد.

يؤمن النواب بحق أنه في يومنا هذا، فإن الشباب المخلص، باتباعهم لأهل البيت d والاعتماد على الإيمان بالله، سينفذون عمليات استشهادية في عمق قواعد الكيان الصهيوني وينقذون فلسطين من هذا الوضع المأساوي:

أينَ تعلّمتَ تخصي الجيوشَ
وكيفَ اقتَلعتَ المُعسكرَ يا ابنَ ثلاثٍ و عشرين
اللّهُ أكبرُ والبندقيّة
عاد على إلى بابِ خيبرَ
يا علمُ سَجّلْ خلايا العروبَةِ تنقلُ تلك الشجاعةَ
جيلاً فَجيلٍ
السلامُ عليك يومَ وُلدتَ ويومَ تموتُ وتبعَثُ حيّاً

(الديوان؛ ٣٥٣)

فهو كما تحدث عن الشجاعة وتضحية الشهيد ((حسين مزنر)) الذي قصف السفارة الأمريكية في بيروت، وعن شجاعة القائد العراقي ((حسين الرضي)) الذي أُستشهد في ثورة ١٩٦٣م يعتقد بأنّ الإيمان بالاستشهاد والتضحية في سبيل الأهداف والمثل الثورية هي نفس الدرس المستفاد من مدرسة عاشوراء وقيام الإمام الحسين a واليوم بذل الشباب المسلم مهجهم للدفاع عن كرامة الثورة ومُثُلها ومحاربة أعداء الأمة والإسلام مخلصين إيمانهم مقتدين بالإمام الحسين a :

فتى عابساً مثلما البدرُ في ليلة التّمّ
وفقَ هويّتهِ وملفّاتِه في السواقي و رائحة الحقلِ

يُدعَي (حسين مزنر)
وفقَ الشهادةِ والألم الكربلائيّ في صوتِه و الثبات
الحسينُ بنُ فاطمة
(والحسين الرضي)
وفقَ الزمان الجديد، هو الشعبُ ليس يخونُ الغدين
غداً وتراثةً

(الديوان، ٤٥٢)

٤-٥- الاستفادة من قصة النبي يوسف a

مظفر النواب يلهم من قصة النبي يوسف a في تصوير الوضع غير المواتي للدول العربية وإذلالهم أمام إسرائيل المغتصبة. وشبّه وضع النبي يعقوب a بالوضع غير المواتية للأمة العربية وجسد اليوم شخصية يوسف في وجه فلسطين المحتلة. ثم يقول ليعقوب في خطاب افتراضي ورمزي بأن يوسف لم تأكله الذئاب، لكنه حي ومحاصر في قاع بئر ولا يزال يمكن أن يخلص فيها. إنّه بين الحين والآخر، بمثل هذه الكلمات، ينزل شرارة الأمل في قلب يوسف (الأمة العربية)؛ ولكنه حينما ينظر إلى الوضع الحالي في المنطقة ويحس مشاكل العالم العربي، يغمره اليأس والخيبة، لأنه يرى أن فلذة كبد العالم الإسلامي (فلسطين) محاصر في قاع بئر عميقة ومظلمة من أجل تسامح الأمة العربية ولا يستطيع أحد مساعدتها.

يعتبر الشاعر أن الدول العربية المرتزقة والمطيعة أمام إسرائيل هم ابناء يعقوب a غير الشرعيين الذين نقشت أفعالهم المخزية على جباههم إلى الأبد، إثر خيانتهم لأخيهم. والآن، بعد قرون، قد ألقى هؤلاءالإخوة يوسف في بئر الإذلال. يرى الشاعر أن الحكام العرب اليوم منقسمون حول قضية فلسطين وكيفية التعامل مع نظام الاحتلال، والأعداء يثيرون هذه الخلافات كل يوم. لذلك، لأنه حينما يدرك أن عمق بئر الانقسام والاختلاف هذا يتجاوز الخيال، فهو يشعر بحزن عميق ويعتبرها أعمق وأظلم من البئر التي حوصر فيها يوسف a :

آه يعقوبُ، راقِبْ بَنيك فَما افتَرسَ
الذّئبُ يُوسُفَ
لكنّهُ الجبُّ

آه منَ الجبّ في الأمّةِ العربيّةِ آه

(الديوان: ٣٤٣)

ويدعو النبي يعقوب إلى معاقبة الإخوة الخائنين وغير الأكفاء بشدة على الجرائم التي ارتكبوها وأنلن يغفر لهم أبداً. والآن يدعو الناسَ كلهم إلى إدانة الخونة الذين هزموا الانتفاضة وأوقعوا الكثير من الشباب في دوامة الموت بعملهم المخزي، متذكراً خيانة إخوة يوسف آنذاك:

ها واقِف في العَراء دونَهم

حطموا رقماً في الخيانة

أجمعهُم واحاكمهُم باسمِ عشرين ألف دمٍ

(نفسه: ٣٤٤)

إن انهيار القيم الإنسانية وضعف المعتقدات الدينية للمجتمعات الإسلامية، والذي يتجلى اليوم في قتل الأبرياء، واجه العالم الإسلامي بأزمة خطيرة في تدهور المعنويات. كما أن الغدر والخيانة التي يقوم بها حكام العرب والمطالبين بإقامة أمة إسلامية واحدة، تجاه القدس المقدسة ومصير الفلسطينيين كل يوم، في رأي الشاعر يذكر خيانة إخوة يوسف لأعتماد النبي يعقوب a و التهاون في مصير فلذة كبد نبي الله و هذا الموضع يتجسم الضعف الأخلاقي والديني في المجتمع الاسلامي.

وباعتقاد الشاعر، فإن السلوك السبعي لإخوة يوسف وإهمالهم لمصير الأخ يتجلى الآن في وجوه الحكام العرب الذين قادهم تعاملهم هذا إلى حافةالدمار وأغرقت الأمة الإسلامية في مستنقع من الخيانات وقتل الأبرياء وانحطاط القيم الإنسانية. لقد دمّر الوضع المؤسف في العالم العربي والاستسلام المطلق لقادة للاستعمار حلم تحقيق أمة إسلامية واحدة وإقامة تحالف لمواجهة عدوان الصهاينة وحلفائهم. فإن هذا الوضع المؤسف قد غمر روح الشاعر باليأس الشديد، بحيث لا يجد طريقة لتغييره أو إصلاحه:

ويعقوبُ راقِب بنيك

فهذا انهيارٌ عظيمٌ وليس صراعاً

وإنّي على قدرتي حاملٌ حجراً للبناء

ولكن على كلِّ هذا الخرابِ المبجل كيف يتمّ البنا

(الديوان: ٣٤٤)

٥-٥- التأثر بشخصية الثوار في طريقهم إلى الحرية

كما ورد سابقًا، اعتقلت قوات الأمن نواب أثناء محاولته دخول حدود إيران. فهو يصف اللحظات التي كان فيها منهكًا وعاجزًا في الصحاري حول الحدود، وهرع المزارعون الفقراء والقرويون لمساعدته. فقال واصفًا تلك الحادثة والذكرى، إن بين ذلك الحشد كان هناك مناضلين وثوريين يشبهوننا كرواد في النضال من أجل العدالة والحرية، في جميع فترات التاريخ المختلفة. أناس مثل الإمام علي a ، أبوذر الغفاري، لومومبا، جيفارا و... فبحسب إعتقادالشاعر أنّ الأمر الذي يجمعهم جميعًا هو روح القهر والجهاد من أجل العدالة والتمرد على الطغاة.

قد يجد الشاعر أنّ البعد الذي يناسب تجربته من أبعاد الشخصية التراثية صفةً من صفاتها، فيستعير هذه الصفة، و يجعلها هي محور عمله الشعري (عشري زايد، ١٩٩٧: ١٩٤). لذلك، من خلال استدعاءه لبعض الشخصيات الدينية والسياسية، اعتبر صمودهم واستقرارهم في مواجهة الصعوبات والمصاعب، فقد استفاد من شخصيتهم المرنة من أجل التعبير عن أفكاره. إنّه في تلك اللحظات الحرجة يغضب بشدة من الألم الذي تسببه الإصابات، لكنه يخيل على أن الإمام a يحتضنه ويطلب منه المقاومة وتحمل الألم والمعاناة.

في الواقع أنّ كلمات الإمام a هي التأكيد لنوع الخطاب الثوري الحقيقي الذي علّمه طريق النضال والحرية وليست أقوالاً فارغةً للمطالبين الزائفين بالثورة الذين يلهمون دائماً التسامح مع العدو. إنّ التعبير عن هذه الحادثة، في الحقيقة، يدل على تفاني الشاعر الخاص لساحة الإمام علي a وتعلّم درس القهر والمقاومة والتحرر من ذلك " قائد الثوّار" الخالد في التاريخ:

واحتشدَ الفلّاحون على، وبينَهم كان على و أبوذرٍّ
والأهوازيُ و لومبا[٣]، أو جيفارا[٤]، أو ماركس[٥]، أو ماو[٦]
لا أتذكر، فالثوّار لهم وجهٌ واحدٌ في روحي
غامَت عيناي من التّعذيب، تشقّق لحمي تحتَ السوط

فَحطَّ على رأسي في حجرَيه و قال: تحمّلْ
وجاءَ الحزبُ و قال تحمَّل، فَتحَمّلتُ

(الديوان، ١٠٥)

في الواقع أنّ النواب ينتخب الإمام علي a رغم اسبقيته في مرافقة الرسول و خوضه في الحروب الكثيرة، من حشد الفلاحين العاملين بين الزرع و النخيل و رغم أنّه كان من القادة الشجعان للجيش الإسلامي و كان زعيم المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول وتنعكس شخصيته الدينية والسياسية في التاريخ و لكنّ نواب لم يصوره بهذه الأوصاف الفريدة والسجل الثمين، بل يصوره فلاحاً يقسّم ممتلكاته على الفقراء واعتبر نفسه شريكًا في فقر الناس ويحارب دائمًا الأرستقراطية وأغنياء المجتمع.

إنّه يستحضر شخصية الإمام علي في العصر الحالي، حيث يستذكر الوضع الاستبدادي لنظام الشاه في إيران والتعذيب والمضايقات التي فرضه عليه عملاء السافاك. فيلجأ إلى حضن الإمام علي، لأنه يرى أن الرؤية الثورية للإمام على وغيره من الساعين إلى الحرية في العالم كانوا جميعًا على نفس المسار، إذ الثوار كلّهم ثاروا لهدف واحد و سعوا في تحقيق الحرية و الإنسانية في العالم.

٦-٥- صبر أيوب رمز لإهمال قادة جبهة المقاومة

من مظاهر دعوة الشخصيات في قصيدة نواب تجسيده لشخصية أيوب نبي في تناص معكوس. إن شخصية أيوب في الأدب الديني هي دائمًا مظهر من مظاهر الصبر وتحمل المعاناة والمصاعب، وبطبيعة الحال، لابد لمظفر النوّاب أن يستخدم هذه الميزة الأخلاقية الفريدة في تشجيع المجاهدين على المثابرة والصبر في مواجهة المصاعب والشدائد، لكنه يصور متعمدا شخصية أيوب العاجز والمستسلم في أدبه، من أجل توبيخ القادة الثوريين. في اعتقاده، فقدَ أيوب صبره ومثابرته في هذه الفترة ولا أمل في تغيير الوضع الحالي. وقد استخدم الشاعر هذا التناص السلبي لتحذير قادة المقاومة وإيقاظهم من السبات. ويرى أن أيوب في زمن الحالي - وهو رمز لمجاهدين سبيل الحرية والمقاومة-، قد استسلم و يقبل الظلم والاضطهاد ولا ارادة له في الدفاع عن الشعب الفلسطيني و مثله الأعلي.

كأن أيوب، بكل صفاته الأخلاقية وصبره النموذجي، أصبح اليوم ممثلا بالعرب في

يومنا هذا، الذين غلبهم الضعف والعجز ولم يتخذوا أي خطوات لتحرير أنفسهم من نير الاستعمار، فيقبلون استبداد حكامهم المتشرذمين و التشريد الشعب الفلسطيني من قبل الاحتلال الصهيوني.

يشعر الشاعر بالإحباط الشديد من الوضع الحالي بحيث أنه لا يجد في هذه الفترة أي مناضل عربي يمكنه التغلب على مشاكل مثل النبي أيوب.ذلذلك يرى النواب بأنّه لا يمكن للقواد العربي بأن يتخلقوا بأخلاق أيوب النبي فينهضوا أمام استبداد الصهاينةو ظلمهم، لأنّ أيوب - الذنسان العربي- هو شخصية متصالحه متساهمه منفعلة أمام الأعداء من الصهاينه وحلفائهم بل يهرب من المعركة والمواجهة مع العدو بذريعة الصبر:

((أيوب في الليل / أيوب في لحظات التفسّح/ أيوب ينمو/
وتأتي الظباءُ في البرّ مورقةً/
جاءت الساعة الصعبة/ الصعبة الصعبة/ واقتحموا صاحبَ القيم البربرية/
كان الجرّاد الغولي يأكل أقدام أيوبَ/ أيوب مستسلمٌ))

(النواب، ١٩٩٦، ٢٣٢- ٢٣٣)

يرسم النواب لنا لوحة الفنية للإشاره إلى الضعف و الحقارة من قبل المتساومين من العرب. إنّ تكرار عبارة "أيوب مستسلم" يشير إلى أن القادة العرب المساومين، على الرغم من كل الإذلال الذي لحق بهم من قبل الصهاينة وحلفائهم، لم يستيقظوا من نومهم واستسلموا لهذا الذل والإذلال.. ومن هنا يعتبر "جيوش الجراد" رمزاً للمستعمرين الذين احتلوا أرض فلسطين وفرضوا كل الإذلال على زعماء الأمة الإسلامية. كما يشير "تنظيف الأسنان" لجراد إلى إسراف المستعمرين وتجهيز أنفسهم بأسلحة الدمار الشامل والتخطيط لنهب الدول الإسلامية التي استغلت ضعف الأمة العربية وتنفذ مخططاتها الشريرةبكل سهولة. وتظهر الصورة التي رسمها نواب تورط الكيان الصهيوني في أركان الأمة الإسلامية. وطالما قواد الأمة العربية لا يفهمون مدي تغلغل الصهاينة في اركان النظام، فإنهم سينتصرون على مصير الأمة الإسلامية:

... وأغار الجراد على عين أيوبَ/ أيوب مستسلم/
ورأيت الجراد يجرجر عينه/

أيوب مستسلماً/ أيوب في الموقف الدولي/
وجرّارةٌ وقفت في الخراب تُنظّف أسنانها/
أيها الرّب/ إنّ بقية أيوب تنبضُ/ قِف بالخراب/
وكنتُ أراهم كما السنديان المكابر في الرعد.

(مظفر النواب، ١٩٩٦، ٢٣٢- ٢٣٣)

٦ـ النتيجة:ـ

استخدم مظفر نواب شخصية الإمام علي a رمزاً للصبر والمقاومة من أجل توظيف الشخصيات الإسلامية في العصور الاسلامية وربطها بالواقع الحالي للعالم العربي.

واعتبر تعاليم قيام الإمام الحسين a للدفاع عن المظلومين ومحاربة الظالمين مصباحاً منيراً لانتفاضة الأمة الفلسطينية. ونري أنّ الشخصيات المخادعة والديماغوجية لأعداء في صدر الإسلام، الذين حاولوا دائماً إثارة الفتنة وإحداث الانقسامات في المجتمع الإسلامي، يستخدمها الشاعر كرمز لرسم صورة المنافقين بين الأمة العربية.

ووصف النواب الوضع الحالي في العالم العربي بأنه مؤسف ودعا الأمة العربية إلى اليقظة القومية والدينية متذكراً العواقب المشؤومة لإهمال أهل الكوفة في عهد الإمام علي a . نواب يسخر السياسيين العرب ويهجوهم ويدعو إلى تغيير سلوكهم وطريقة تفاعلهم أمام المحتلين. ويعتبرهم ورثة أمثال عمرو عاص وأبي سفيان في التاريخ، هم الذين قد خانوا الوطن والأمة العربية بالدهاء والديماغوجية سعياً وراء أهدافهم الشريرة وبالتواطؤ مع إسرائيل.

ينتقد الشاعر تصرفات القادة والحكومات العربية من خلال التأمل في الأحداث التاريخية ويوبّخهم بشدة لنواقصهم وعجزهم في القضية الفلسطينية، لذلك يلفت انتباه الجمهور إلى عدم كفاءتهم ومجرد خضوعهم للسلطات الأجنبية.

يُحاول مظفر نواب أن ينتبه مخاطبيه من الإهمال و الانحراف من خلال التفات أذهانهم إلى مضامين شعره مستلهماً من الوقائع التاريخيه لكي يتميزوا بين جبهة الحقيقة والعدالة و العمالقة الذين يميلون نحو السلطات الظالمة. لذلك فإن الأمر الذي يلتفت أذهاننا في دراسة ديوان الشاعر هو أن آراءه السياسية وشخصيته الكبريائية أمام الظلم تأثرت بشدة بمدرسة عاشوراء، مما جعله شاعراً للمقاومة الفلسطينية اليوم.

هوامش البحث

(١) كانت ((داحس)) من أشهر الحروب العربية في أيام الجاهلية، التي دارت بين قبيلتي "بني عبس وبني ذبيان"، حدث ذلك بعد سباق خيل بين حصانين يسمى ب((الداحس والغبراء)) (ابن‌اثير، ١٤١٧هـ، ٥٠٩/١).

(٢) والجدير بالذكر أن الشاعر اقتبس آخر هذه القصيدة من "سورة مريم" التي تقول: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم/١٥)؛ لأن الشهيد حي ولن يموت. بل ستحشر روحه مع آل البيت والإمام الحسين a .

(٣) باتريس إيمري لومومبا (١٩٢٥-١٩٦١). كان زعيم استقلال الكونغو من الحكم الاستعماري البلجيكي. ومهد لومومبا الذي بدأ كفاحه في سن مبكرة، الطريقَ لاستقلال ((زئير)) عن بلجيكا وعزل البلجيكيين عن موارد وبنوك الكونغو.

(٤) إرنستو جيفارا (١٩٢٨-١٩٦٧). زعيم حركة التحرير البوليفية.

(٥) كارل هاينريش ماركس (١٨١٨-١٨٨٣). كان مفكرًا ثوريًا وفيلسوفًا وعالم اجتماع ومؤرخًا واقتصاديًا ألمانيًا و من المفكرين أكثر تأثيرًا في كل العصور.

(٦) مائو تسه تونج (١٨٩٣-١٩٧٦). كان سياسيًا ثوريًا شيوعيًا أسس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

١. نهج البلاغة، (١٣٦٩هـ.ش)، الترجمه: محمد دشتي و سيّد كاظم محمّدي، الطبعة الثانية، قم: منشورات امام على a .
٢. آل بويه لنجرودي، عبدالعلي و الآخرون (١٣٩٤). ((استدعاء الشخصيات الدينية في شعر المقاومة المعاصرة، المدروسة بشخصية المسيح a))، فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربي)، السنة الثالثة، العدد العشرين.
٣. الإبراهيمي، محمود، (١٣٨١ ه.ش). شرح ديوان ابوالعلاء معرّي، الطبعة الأولى، سنندج: منشورات جامعة كردستان.
٤. ابن الأثير، أبو الحسن على بن أبي الكرم، (١٤١٧هـ). الكامل في التاريخ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي.
٥. ابوالفرج الاصفهاني، (١٣٨٩)، مقاتل الطالبين، الترجمه: سيدهاشم رسولي محلاتي، طهران: منشورات الثقافة الاسلامية.
٦. اسلامي، محسن، (١٣٨٨). السياسة الخارجية الإسرائيلية، طهران: اميركبير.
٧. البرقوقي، عبدالرحمن، (٢٠٠٥م). شرح ديوان المتنبي، بيروت، دار الكتاب العربي.
٨. خير، هاني. (٢٠٠١م). مظفر النوّاب شاعر المعارضة السياسة، ط١. دمشق: دار الهيثم.

٩. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (١٩٦٠م). الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، الطبعة الأولى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربي.
١٠. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (١٤١٣ه). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب العربي.
١١. روشنفكر، كبري (١٣٩٢). ((رمز القناع والأسطورة في شعر المقاومة لقيصر أمين بور))، المجلة الفصلية للتقنيات الأدبية، السنة الخامسة، العدد الأول، ص٣٥- ٥٢.
١٢. سمحان، إسلام. (٢٠١١م). مظفر النوّاب، الزيارة لم تكتمل، العرب اليوم. العدد٣١. ص١٢.
١٣. عبدالقادر، عبدالله. (٢٠١١م). مظفر النوّاب الفارس الجريح. نشرة البيان الإلكترونية. ص .٥٧.
١٤. عبود، زهير كاظم. (٢٠٠٦م). كلمات مظفر النوّاب الطافية فوق سطح الهور)). جريدة المدي الثقافي. العدد ٧١١. الأربعاء. ص١١.
١٥. العشري زايد، على (١٩٩٧). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي.
١٦. العلاق، على جعفر، (١٩٨٥م). الشعر والتلقي (مطالعات انتقادي)، عمان: دار شروق.
١٧. كارتر، جيمي، (١٣٨٦). فلسطين السلام أم العنصرية، الترجمه: محمد حسين وقار، طهران: نشر اطلاعات.
١٨. محسن الأمين، (١٣٩١). حياة المعصومين، المجلد ٤، الترجمه: مصطفي گرگان بيك و على چراغي، طهران: نشر پنجره.
١٩. المسعودي، على بن‌الحسين، (١٣٨٢). مروج الذهب و معادن الجوهر، المجلد الأول، الطبعة السابعة، طهران: شركة نشر علمية وثقافية.
٢٠. معوش، سالم. (٢٠٠٣م). شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر. ط١. لبنان: دار النهضة العربية.
٢١. ناصف، مصطفي (لا تا). دراسة الأدب العربي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.
٢٢. النواب، مظفر ((قصيدة الوقوف بين السموات ورأس الحسين)). صحيفة البينة الجديدة، تاريخ النشر ٢٠١١/٢/٣)
٢٣. النواب، مظفّر، (١٩٩٦م). الأعمال الشعرية الكاملة. لندن: دار قنبر.
٢٤. الواقدى، محمد بن عمر (١٣٦٩ه.ش). كتاب المغازى، الترجمة: محمود مهدوى دامغانى، الطبعة الثانية، طهران: مركز النشر الجامعي.
٢٥. ياسين، باقر. (٢٠٠٣م). مظفر النوّاب.حياته وشعره. لامك: دار الغدير.
٢٦. ياسين السليماني، احمد (٢٠٠٧). تقنية القناع الشعري، مجلة غيمان، العدد٣، صنعاء.
٢٧. يحيي، أحلام، (٢٠٠٥م). مظفّر نوّاب سجين الغربة و الاغتراب، دمشق: دار نينوا.
٢٨. اليعقوبي، احمد ابن اسحاق (١٣٨٢). تاريخ يعقوبي، جلد ٢، ترجمه محمدابراهيم آيتي، الطبعة التاسعة، طهران: شركة نشر علمية وثقافية.